جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
المرحلة الأولى: مادة اسس التربية
الدراسة الصباحية + المسائية
٢٠٢٤ ــ ٢٠٢٥

محاضرات في:

أبو حامد الغزّالي

التدريسي: الدكتور طه بنيان القيسي

للعام الدراسي ٢٠٢٤ ــ ٢٠٢٥

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

أبو حامد الغزّالي

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، يُكنّى بأبي حامد، ولد عام ٤٥٠هـ الموافق ١٠٥٨م، في "الطابران" من قصبة طوس، وهي أحد قرى طوس في خراسان، والتي تعرف الآن باسم مدينة مشهد موجودة في ايران، ويُعرَف بـ (الغزّالي) نسبة إلى صناعة الغزل، حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة، وقد اختلف الباحثون في أصل الغزالي أعربي أم فارسي، فهناك من ذهب على أنه من سلالة العرب الذين دخلوا بلاد فارس منذ بداية الفتح الإسلامي، ومن الباحثين من ذهب إلى أنه من أصل فارسي، لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب (حجّة الإسلام).

تعليمه:

ابتدأ طلبه للعلم في صباه عام ٤٦٥هـ، فأخذ الفقه في طوس على يد الشيخ أحمد الراذكاني، ثم رحل إلى جرجان لطلب العلم على يد الشيخ الإسماعيلي (وهو أبو النصر الإسماعيلي بحسب تاج الدين السبكي.

وفي عام ٤٧٣هـ رحل الغزّالي إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين أبو المعالي-الجويني (إمام الشافعية في وقته، ورئيس المدرسة النظامية)، فدرس عليه مختلف العلوم، من فقه الشافعية، وفقه الخلاف، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والمنطق، والفلسفة، وجدّ واجتهد حتى برع وأحكم كل تلك العلوم، ووصفه شيخه أبو المعالي الجويني بأنه: (بحر مغدِق)، وكان الجويني يُظهر اعتزازه بالغزالي، حتى جعله مساعداً له في التدريس، وعندما ألَّف الغزالي كتابه (المنخول في علم الأصول) قال له الجويني: (دفنتني وأنا حيّ، هلّا صبرتَ حتى أموت؟).

تدريسه ورحلاته:

عندما تُوفي أبو المعالي الجويني سنة ٤٧٨هـ الموافق ١٠٨٥، خرج الغزالي إلى "العسكر" أي "عسكر نيسابور"، قاصداً الوزير نظام الملك (وزير الدولة السلجوقية)، وكان له مجلس يجمع العلماء، فناظر الغزالي كبار العلماء في مجلسه وغلبهم، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقوه بالتعظيم والتبجيل، كان الوزير نظام الملك

زميلاً للغزالي في دراسته، وكان له الأثر الكبير في نشر المذهب الشافعي، والعقيدة الأشعرية، وذلك عن طريق تأسيس المدارس النظامية المشهورة، وقد قَبِل الغزالي عَرْض نظام الملك بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد، وكان ذلك في جمادى الأولى عام ٤٨٤هـ الموافق ١٠٩١م، ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره.

الغزالي في بغداد:

وصل الغزالي إلى بغداد في جمادى الأولى سنة ٤٨٤هـ، في أيام الخليفة المقتدى بأمر الله العباسي، ودرّس بالمدرسة النظامية حتى أُعجب به الناس لحسن كلامه وفصاحة لسانه وكمال أخلاقه. وأقام تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدّة أربعة سنوات، حتى اتسعت شهرته وصار يُشَدّ له الرّحال، ولُقّب يومئذٍ بـ (الإمام) لمكانته العالية أثناء التدريس بالنظامية في بغداد، ولقّبه نظام الملك بـ (زين الدين) و(شرف الأئمة)، وكان يُدرِّس أكثر من (٣٠٠) من الطلاب في الفقه وعلم الكلام وأصول الفقه، وحضر مجالسهُ الأئمة الكبار كـ(ابن عقيل وأبي الخطاب وعبد القادر الجيلاني وأبي بكر بن العربي)، حيث قال أبو بكر بن العربي: رأيت الغزالي ببغداد يحضر درسه (أربعمائة) عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم.

الغزالي والفلسفة:

كانت الفلسفة في عصر أبي حامد الغزالي قد أثَّرت في تفكير الكثيرين من أذكياء عصره وسلوكهم، وأدى ذلك إلى التشكيك في الدين الإسلامي والانحلال في الأخلاق، والاضطراب في السياسة، والفساد في المجتمع، فتصدّى أبو حامد الغزالي لهم بعد أن عكف على دراسة الفلسفة لأكثر من سنتين، حتى استوعبها وفهمها، وأصبح كواحد من كبار رجالها، يقول عن نفسه: (ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة، وعَلِمتُ يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم.. فشَمَّرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب.. ثم لم أَزَل أُواظِب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطَّلعت على ما فيه من خداع، وتلبيس وتحقيق وتخييل، واطلاعاً لم أشك فيه)، وألّف في ذلك كتابه (مقاصد الفلاسفة) مبيّناً منهجهم، ثم بعد ذلك وصل إلى نتيجته قائلاً: (فإني رأيتهم أصنافاً، ورأيت علومهم

أقساماً وهم – على كثرة أصنافهم – يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم، في البعد عن الحق والقرب منه).

تناول الغزالي الفلسفة بالتحليل التفصيلي، وذكر أصنافهم وأقسامهم، وما يستحقون به من التكفير بحسب رأيه، وما ليس من الدين، بذلك أُعتُبِرَ الغزالي أول عالم ديني يقوم بهذا التحليل العلمي للفلسفة، وأول عالم ديني يُصنِّف في علومهم التجريبية النافعة، ويعترف بصحة بعضها، إذ قَسَّم الغزالي علوم فلاسفة اليونان إلى العلوم الرياضية، والمنطقيات، والطبيعيات، والإلهيات، والسياسات، والأخلاقيات، وكان أكثر انتقاد الغزالي وهجومه على الفلاسفة ما يتعلق بالإلهيات، إذ كان فيها أكثر أغاليطهم بحسب الغزالي، وقد كفّر الغزالي فلاسفة الإسلام المتأثرين بالفلسفة اليونانية في (٣) مسائل، وبدّعهم في (١٧٧) عشر مسألة، وألّف كتاباً مخصوصاً للرد عليهم في هذه الى (٢٠) مسألة سمّاه (تهافت الفلاسفة)، وفيه هاجم الفلاسفة بشكل عام والفلاسفة المسلمون بشكل خاص، وخاصة ابن سينا والفارابي، فقد هاجمهم هجوماً شديداً، ويُقال إنه قضى على الفلسفة العقلانية في العالم العربي، منذ ذلك الوقت ولعدة قرون متواصلة، فجاء بعده (ابن رشد) فرد على الغزالي في كتابين أساسيين هما (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، ثم (تهافت التهافت).

المراحل الفكرية التي مرّ بها الغزالي:

قبل أن يستقر أمر الغزالي على التصوف، مرّ بمراحل كثيرة في حياته الفكرية، كما يرويها هو نفسه في كتابه (المنقذ من الضلال)، فابتدأ بمرحلة الشكّ بشكل لا إرادي، والتي شكّ خلالها في الحواس والعقل وفي قدرتهما على تحصيل العلم اليقيني، ودخل في مرحلة من السفسطة غير المنطقية حتى شُفي منها بعد مدة شهرين تقريباً. ليتفرّغ بعدها لدراسة الأفكار والمعتقدات السائدة في وقته، يقول: «ولما شفاني الله من هذا المرض بفضله وسعة جوده، أحضرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: المتكلمون: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر. والباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم. والفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان. والصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة

والمكاشفة» ويتابع ويقول: «فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئاً بعلم الكلام، ومثنياً بطريق الفلسفة، ومثلثاً بتعلّم الباطنية، ومربعاً بطريق الصوفية». فعكف على دراسة علم الكلام حتى أتقنه وصار أحد كبار علمائهم، وصنف فيه عدة من الكتب التي أصبحت مرجعاً في علم الكلام فيما بعد مثل كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد)، إلا أنه لم يجد ضالته المنشودة في علم الكلام، ورآه غير واف بمقصوده، يقول عن نفسه: «فلم يكن الكلام (أي علم الكلام) في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً». بعد ذلك توجّه لعلم الفلسفة ودرسها وفهمها، ثم نقدها بشدة بكتابه (تهافت الفلاسفة). ثم درس بعدها الباطنية فردّ عليهم وهاجمهم. ليستقر أمره على علم التصوف.

كتاب إحياء علوم الدين:

كان من أشهر مؤلفات الغزّالي في التصوف كتابه إحياء علوم الدين، والذي قد حاز شهرةً وانتشاراً ما لم يقاربه أي كتاب من كتبه الأخرى، حتى صارت نسخه المخطوطة مبثوثة في مكتبات العالم. وقد امتدح الكتاب غير واحد من علماء الإسلام، مثل ما قاله عبد الرحيم العراقي المحدث الذي خرّج أحاديث الإحياء، حيث قال عنه: «إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام، جمع فيه بين ظواهر الأحكام، ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام، لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل، ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن، ومرج معانيها في أحسن المواطن، وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه، وسلك فيه من النمط أوسطه»، وقال غيره: «من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء»، ومن الاختصارات، فقد اختصره أخوه أحمد الغزّالي في كتاب "لباب الإحياء"، و"منهاج القاصدين" لابن الجوزي، ويعد بعض الباحثين كتاب الغنية للشيخ عبد القادر الجيلي، مختصرا للأحياء كونه كتب على نفس المنهجية والنفس، وغيرها الكثير.

آثار الغزالي:

ألَّف الإمام الغزّالي خلال مدة حياته الـ (٥٥ سنة) الكثير من الكتب في مختلف صنوف العلم، حتى أنه قيل: إن تصانيفه لو وزعت على أيام عمره أصاب كل يوم كتاب. وقد وضع الباحثان جميل صليبا وكامل عياد قائمة بمؤلفات الغزالي ضمت

(٢٢٨٨) كتاباً ورسالة، ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود. وبسبب شهرة الغزالي وتصانيفه، نُسبت إليه الكثير من الكتب والرسائل، وأصبح من الصعب تحديد صحة نسبتها إليه، فقد ذكر المتقدمون، من أمثال عبد الغافر الفارسي (ت. ٥٢٩هـ) وأبو بكر بن العربي (ت. ٥٤٣هـ) وتاج الدين السبكي (ت. ٧٧١هـ) وطاش كبرى زادة (ت. ٩٦٨هـ) والمرتضى الزبيدي (ت. ١٢٠٥٥هـ)، الكثير من تصانيف الغزالي، واعتمد الباحثون على هذه المصادر في تحديد مصنفات الغزالي، كان له أثرٌ كبيرٌ وبصمةٌ واضحةٌ في عدّة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك مئات من الكتب في تلك المجالات.

وفاته:

بعد أن عاد الغزّالي إلى طوس، لبث فيها بضع سنين، وما لبث أن تُوفي يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ، الموافق ١٩ ديسمبر ١١١١م، في "الطابران" في مدينة طوس، ولم يعقب إلا البنات. روى أبو الفرج بن الجوزي في كتابه "الثبات عند الممات"، عن أحمد (أخو الغزالي): «لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلّى، وقال: "عليّ بالكفن"، فأخذه وقبّله، ووضعه على عينيه وقال: "سمعاً وطاعة للدخول على الملك"، ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار». وقد سأله قبيل الموت بعض أصحابه: فقالوا له: أوصِ. فقال: «عليك بالإخلاص» فلم يزل يكررها حتى مات.

وأما عن تعيين قبره، فقد روى تاج الدين السبكي بأن الغزّالي دُفن في مقبرة "طابران"، وقبره هناك ظاهر وبه مزار. أمّا حالياً فلا يُعرف قبر ظاهر للغزّالي، إلا أنه حديثاً تم اكتشاف مكان في طوس قرب مدينة مشهد في إيران حيث يُعتقد بأنه قبر الغزّالي، والذي أمر رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بإعادة إعماره خلال زيارته إلى إيران في ديسمبر ٢٠٠٩م.